رأي القدس

اعلام منحاز لحزب الله؟!

■ هاجم ايهود اولمرت رئيس الوزراء الاسرائيلي في مؤتمر صحافي عقده امس وسائل الاعلام العربية والعالمية، متهماً اياها بالانحياز الى جانب «حزب الله» في تغطيتها لحرب التدمير التي تشنها حكومته ضد لبنان.

حجة اولمرت التي يستخدمها لتبرير هذا الهجوم غير المسبوق، هي ان وسائل الاعلام غير الاسرائيلية لا تنقل بالكامل على شاشات التلفزة وحشية حزب الله وجرائمه الكبيرة، مضيفا «ان هذه الصورة المعكوسة تقدم الضحية على انه المعتدي».

اولمرت يريد ان تتحول اجهزة الاعلام العالمية والعربية الى نسخة من نظيراتها الاسرائيلية، اي ان تخضع بالكامل للرقيب العسكري الاسرائيلي، وتقدم اليه جميع موادها الاخبارية وتقاريرها المصورة قبل ارسالها الى مقراتها في الخارج.

اجهزة الاعلام الغربية، ومعظم العربية، منحازة فعلا للدولة العبرية، لا لحزب الله، لانها تحاول ان تساوي بين الجلاد والضحية في تغطيتها لهذه الحرب، وفي هذا ظلم كبير للحقيقة والمهنية الصحافية التي تتطلب اقصى قدر ممكن من الموضوعية والنزاهة.

فالمحطات التلفزيونية تبالغ كثيراً في تصوير اضرار قصف بعض المدن والمستوطنات في العمق الاسرائيلي من قبل صواريخ حزب الله، وتعيد بث لقطات لاطفال اسرائيليين عدة مرات، بينما لا تتوقف الا للحظات عابرة امام مئات الشهداء اللبنانيين الذين سقطوا ويسقطون تحت القصف السجادي الاسرائيلي في حرب غير متكافئة على الاطلاق.

اسرائيل تشن حرب تدمير غير مسبوقة على بلد كامل العضوية في الامم المتحدة، تنسف المطارات والجسور ومحطات الكهرباء والطرق، وتزيل مناطق برمتها من الوجود تحت سمع العالم وبصره، ودون اي تدخل من الامم المتحدة ومجلس امنها، خوفاً من غضب الادارة الامريكية.

وسائل الاعلام العربية والغربية لا يمكن ان تنحاز لحزب الله، لسبب بسيط، لانها في معظمها معادية له، وتحمله مسؤولية هذه الحرب، فالقنوات الفضائية العربية تخضع في معظمها، وباستثناء «الجزيرة»، لانظمة عربية تؤيد نزع سلاح حزب الله، وتحمله المسؤولية وتتهمه بالمغامرة، مثل المملكة العربية السعودية ومصر، مضافاً الى ذلك المحطات اللبنانية التي تملك شخصيات سعودية من الاسرة الحاكمة نسبة كبيرة من اسهمها.

اما القنوات الفضائية الغربية، فهي امريكية او بريطانية او فرنسية، ولا نعتقد ان هذه القنوات معروفة بتأييدها لاي مقاومة عربية او اسلامية، ناهيك عن حزب الله.

صحيح ان هناك قنوات اجنبية انحازت الى مهنيتها وقدمت صوراً بشعة لضحايا القصف الاسرائيلي، ولكن هذا لا يعني انها انحازت الى حزب الله ضد اسرائيل. فالصورة لا تكذب، وعدم نقل جزء من الحقيقة المأساوية سيؤدي الى سقوط مريع لهذه القنوات، وانفضاض المشاهدين من حولها.

حكومة اولمرت في مأزق كبير، فبعد ما يقرب من الاسبوعين، وتدمير كل شيء يمكن تدميره في لبنان، عجزت عن تحقيق اهدافها في انهاء وجود المقاومة الاسلامية، واثارت غضب العالم بأسره من جراء استخدامها المفرط للقوة في حرب ظالمة غير عادلة، ولهذا تحاول القاء تبعات فشلها على وسائل الاعلام.

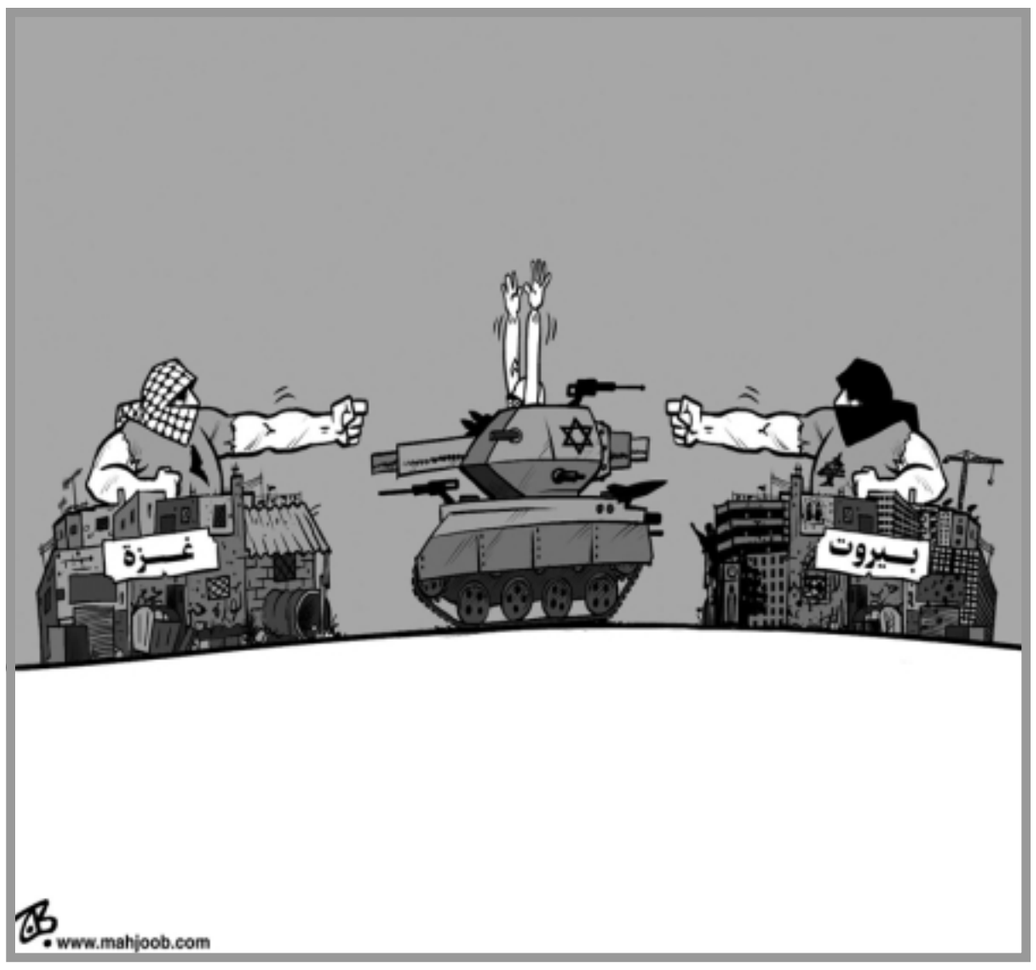

غباء الاعلام العربي في زمن الحرب

عصام عبدالله *

■ لا يمكن التحجج بظروف العمل الصعبة للقول بان ما يحصل من اخطاء وممارسات هو من قبيل الهفوة. ففي المراحل الصعبة يظهر ما في النفوس الى السطح وتتكشف النوايا الدفينة وتتضح المهنية من الانتهازية.

في الحرب الجديدة المعلنة على لبنان من قبل اسرائيل، تستمع الى الاعلام الفضائي العربي فتخال نفسك امام مرآة امريكية واخرى اسرائيلية لواقع التعامل مع العمليات العسكرية الاسرائيلية، واذا سألت قيل لك إن ضغط العمل يتحكم بلهجة ومسار واسئلة واجوبة المذيعين والمراسلين.

في المبدأ العام، هناك حقيقة اعلامية تقول ان اسرائيل اقوى من كل جهد اعلامي عربي مهما ارتقى شأنه لانها تستند الى كل الاعلام الغربي الذي يساند احتلالها للارض العربية. واذا تابعت الاخبار العالمية لوجدت ان اسرائيل التي تم «الاعتداء» عليها وخطف اثنان من جنودها لها الحق في ان تلحق الدمار والخراب بلبنان وبحزب الله وبالبنى التحتية والفوقية للذود عن كرامتها التي اهينت في هذه العملية. وبالنتيجة، فإن اسرائيل، تضيف مكسبا اعلاميا جديدا يضاف الى قوة موقفها السياسي وموقفها العسكري.

بالمقابل، فإن الاعلام الفضائي العربي، ومن زاوية الظهور بمظهر من يتعامل مع الاحداث بموضوعية وعلى نفس المسافة من طرفي الصراع، يكون قد اضاف قسما اخر من الرأي العربي لمصلحة اسرائيل، من حيث يدري او لا يدري. لذلك، فان اتخاذ موقف الوسط والموضوعية في مرحلة صعبة ومصيرية لا يمكن ان يحسب لهذا الاعلام، فكيف إذا كان هذا الاعلام لا يعرف كيف يتعامل في ظروف الحرب مع منطق الحرب؟

لقد تابعت تغطية قناة «فضائية سعودية» في الايام القليلة الماضية فإذا بالمذيع يسأل المندوبة في بيروت عن الطرق التي يسلكها اللبنانيون لمغادرة البلاد، فاشارت الى طريق البقاع، واذا بالنشرات تحمل اخبار قصف هذا الطريق. وفي اليوم التالي، سألت المندوبة نفسها عن اي طريق يسلكه اللبنانيون للمغادرة بعدما قصف طريق البقاع، فاشارت الى طريق ضهور الشوير، واذا بالاخبار تنقل قصف هذا الطريق، على الرغم من وجوده في منطقة، «يفترض» انها غير مدرجة على لائحة القصف. والغريب ان السؤال تكرر في اليوم الثالث وعادت المراسلة نفسها الى القول انه لم يتبق سوى طريق الشمال عبر بلدة إهدن.

اعرف ان اسرائيل ليست بحاجة لمعرفة الطرق في لبنان فهي لديها مجسمات كاملة للبنان، لكن سلوك اللبنانيين لا تعرفه اسرائيل وإلا لما كانت احتلت قسما منه ولما كانت خرجت منه ايضا، فالهم الا يقوم الاعلام الفضائي العربي بتقديم المعلومات والإحداثيات لهذا العدو كي يسلط جام قصفه على المناطق التي قد يلجأ اليها اللبنانيون للاتقاء من شر وخطر آلة القصف الاسرائيلية التي لم تكف منذ العام 48 عن الفتك بالعزل والمدنيين.

فالسبق الاعلامي خلال الحرب لا يقدم سوى خدمة للعدو، وإلا فما معنى ان يتم نقل قصف احد الجسور مباشرة على الهواء وقصف مدارج المطار بحيث يعمد العدو الى تصحيح اصاباته؟

من المعلوم ان الف باء التغطيات الاعلامية في كل العالم اثناء العمليات العسكرية، الا يعمد المصورون الى نقل مباشر لأمكنة سقوط او انطلاق الطائرات او الصواريخ او الدفعية، لكي لا تكون هدفا للخصم فيقوم بالعمل على ضبط اطلاقاته إلا اذا تم تسجيل هذه اللقطات ووافقت عليها المراقبة العسكرية للقوات، تماما كما تفعل اسرائيل عندما لا تسمح ببث اي صور من مناطقها قد يستفيد منها الخصم في تعديل مرمى اهدافه. ومن هنا امكن فهم استدعاء مصوري ومندوبي الجزيرة وغيرها من المحطات الفضائية للتأكيد عليهم بوجوب عدم اعطاء اي معلومات دقيقة عن الاهداف التي تصاب من قبل الخصم تحت طائلة المسؤولية، بل إن احدى الزميلات تعرضت لاطلاق النار واصيبت بساقها، وزميلا اخر تعرض للاعتقال لبعض الوقت من قبل اجهزة الامن الاسرائيلية، ففي زمن الحرب ممنوع الخطأ. فلماذا لا يصار الى الاقتداء بالعدو والتعلم منه في عدم تقديم معلومات له اثناء العمليات العسكرية؟

والغريب ايضا ان «القناة نفسها» اتخذت مركزا لها في بلدة رميش الجنوبية منذ بداية الاحداث، وراحت تبث وقائع العمليات العسكرية وتنقل من هناك كيفية تنقل وحركة المواطنين بين القرى الجنوبية، ثم ما تلبث الطرقات والبلدات التي ذكرت إلا ان تقصف من الطائرات والمدفعية الاسرائيلية ما عدا بلدة رميش، التي، قيل إنها، مسقط رأس احد مسؤولي الاخبار في الفضائية المذكورة. فهل هي صدفة ان لا تقصف هذه القرية تحديدا وسط قصف معظم القرى المجاورة، ام ان هذا المسؤول لديه من المعلومات ما مكنه من اختيار الموقع السليم لارسال فريق العمل الى قريته وضمان حياة هذا الفريق؟

في المتابعات لمجريات التغطية تطالعك المحطات الفضائية بالشخصيات الاسرائيلية ابتداء من شمعون بيريس وصولا الى القادة العسكريين يتحدثون فيها عن الظلامة التي تتعرض لها اسرائيل على ايدي «المخربين» من جماعة حزب الله، وان اسرائيل لا يمكنها ان تقف مكتوفة الايدي وان قصفها للبنى التحتية هو دفاع عن اسرائيل وعن وجودها. وبالتالي، فإن ما تقوم به اسرائيل دائما هو رد فعل على ما تتعرض له من اعتداء.

اما لهجة المذيعين في الاعلام الفضائي العربي عن كيفية تعاطي حزب الله في العمليات العسكرية فان المشاهد يشعر ان هذا الحزب كأنه العدو، فكيف له ان يأسر جنديين اسرائيليين ولاحقا يقوم بقصف حيفا، وكيف له ان يتجاوز الاجماع الداخلي والى ما هنالك من اسئلة تنم عن حقد دفين على كل من يقف في مواجهة الاحتلال.

ولا يغيب عن البال، استضافة اللبنانيين والعمل على اذكاء روح التفرقة والانقسام بما يؤدي الى شعور بالريبة من امكان الانتصار، ويضفي مشاعر الرعب والخوف على اللبنانيين في حلهم وترحالهم ضمن مناطقهم.

هنا لا بد من الاشارة الى ما حصل في بريطانيا، ام الديمقراطيات، فبعد احداث 7 تموز من العام الماضي عملت الحكومة البريطانية على استصدار قوانين تحد من الحريات وتمنع تمجيد «الارهاب» او التعاون معه او تسهيل التعاطي معه، كما تسمح باعتقال من يفعل ذلك لمدة 28 يوما من دون توجيه تهمة اليه، كل ذلك فقط من اجل الحفاظ على السلامة العامة وامن المواطنين، بينما من يتابع اعلامنا الفضائي يجد نفسه امام اعلام لا ينقصه سوى تغيير الاشارة الخارجية له بحيث تصبح نجمة داوود وسط الشعار الاعلامي وبدل ان تكون عربية تصبح عبرية.

* اعلامي لبناني يقيم في لندن

عاصفة «المؤامرة المطلقة» في المنعطف اللبناني

المقاومة تصد الحرب وتمنع تفشي الفتن الطائفية

مطاع صفدي *

■ انها ستون عاما من حرب واحدة مستديمة عبر حلقات متتابعة من عقد الى آخر، وربما احيانا بين سنوات العقد الواحد. تجدد الحرب القديمة سكناها في قلب الوطن العربي، منذ ان تم تهجير الحرب اثر نهاية الحرب العالمية الثانية، من اوروبا، لتستوطن زمان ومكان الجغرافية العربية. الا ان توطن النار يحتاج الى تغذيتها بالوقود. ولا فرق في شرعة الحرب المستديمة ان تكون وقودها من لحم البشر او خشب الشجر او صخر الحجر، او كلها معا. كان استتبات اسرائيل في ارض العرب، ومعها تربتها المجلوبة، ايذانا بتوطين الحرب، فما ان قرر «المجتمع الدولي» المنتصر على النازية والفاشية، سرقة ارض فلسطين من شعبها عنوة وعلى الملأ العالمي، حتى حكم على مستقبل المنطقة العربية بأن يكون زمنا للنار والدمار. بالمقابل كان على الشعب المجلوب، ان يثبت هذه الحقيقة، كايقاع كارثي ممسك بتلابيب تحولاتها المصيرية الاتية. صار لزاما على المواطن ان يصير مجندا في هذه الحرب، ومقاتلا معها وضدها في آن. لا هوية لمولود عربي على هذه الارض دون ان يغدو مرشحا للقتل في عقله، في حريته، وفي كيانه اخيرا، حتى لا يتاح له يوما ان يصير مقاتلا ضد قاتليه.

«المؤامرة المطلقة» المدبرة دائما على مجتمع الاحرار المنذورين للعبودية، ليست في طرده خارج العصر ومدنيته، بل في حرمانه من ان يحيا مجرد اية حياة، ولو كانت دون حياة الانسان، ان تكالب المجتمع الدولي على قهر لبنان بأية حجة كانت هو ذروة الاعلان القديم عن هذه المؤامرة المطلقة. ومنذ ان تم الكشف عن لعبة الحرب الاهلية في اواسط السبعينات، فقد انطلقت تلك التجربة النموذجية الاولى لحيثيات المؤامرة المطلقة: وكان نجاحها المقطع النظير تدشينا تاريخاويا لكل ما سيتبع تأسيسها (الدهري) من حلقات آتية للحروب الاقليمية والدولية فيما بعد، وطيلة الربع الاخير المشؤوم من القرن الماضي الى مطلع الالفية الثالثة.

ما تعنيه المؤامرة المطلقة في الثقافة الاستراتيجية، وليس في عامية التداول اليومي ـ هي الكيفية العملية لتطبيق حكم بالاعدام المستديم يصدره ويمارسه تاريخ غاشم مخاصم ضد تاريخ آخر محاصر في دفاعه وصموده، بما يرفع صراعهما الى ما فوق كل زمني، عابر وطارىء، الى ما يساوي مستوى ميتافيزيقيا يأسر كلية الواقع تحت حاكميته وحدها، لذلك فان مضمون «المؤامرة المطلقة» كمصطلح، هو كونها ترجمة عملية لدلالة صراع الحتمية غير القابلة الا بانجاز الحاسم النهائي من نتائجها. ومؤداها واقعيا، هو انها غير القابلة بأقل من القضاء المبرم لاحد التاريخين على الاخر، وقد كانت لها تجلياتها عبر صراع الامبراطوريات والاديان الكبرى، ثم الايديولوجيات الحديثة، وصولا اخيرا الى صيغة الصراع الكلياني الراهن الذي يعبر عنه فلسفيا، بين حضارة العنف والمدنية الانسية.

الاحداث وحدها تنبىء قراءتها المتأنية النزيهة بان الصراع العربي الصهيوني، الذي لا مهرب من مؤثراته وتداعياته اقليميا ودوليا، قد راح يتدافع الى عنق الزجاجة الضيق، بحثا عما يشبه المخرج النهائي من مآزقه الكبرى المتوالية، عن ذلك الحل الجذري لثنائية التاريخين المتنازعين: الغاصب المداهم، والآخر المدافع الصامد. فالانتصارات بالقوة المادية وحدها بالنسبة للاول لم تعد نافعة او كافية، كما ان تراكم النكسات العسكرية والنهضوية بالنسبة للثاني لن تجهز عليه، ولن تقتلعه من جذوره او تمنع مستقبله، فالقوة الضاربة لن تخلق امة لم تكن موجودة قبلها، ولن توجد الى ما بعدها.

كما انها لن تجهز على امة كانت من قبل ومن بعد، فان الخلق من عدم نظرية ميتافيزيقية بائدة، وان تشبثت بها ثقافة المؤامرة المطلقة المعاصرة، وما يسمى بمبدأ توازن القوى استراتيجيا قد يكون هو العدو الحقيقي الذي يبطل فعالية المؤامرة المطلقة. اذ انه يجعلها غير ذات موضوع عند تعادل الخصمين.

منذ حرب الانظمة الاخيرة 1973 المؤدية الى تحييد القطر العربي الاكبر مصر تحت صيغة سلام زائفة اسمها معاهدة كامب ديفيد، حصلت اسرائيل للمرة الثانية بعد انشائها، على تثبيت خلل (تاريخي) انعطافي في توازن القوى لصالحها ضد المجموع العربي ممثلا بدوله، بعد ان تم تحييدها تلقائيا من المعادلة، على اثر الانفصال المصري عنها، وهكذا وضعت تلك الحرب نهاية لما كان يسمى بمشروعية الصراع على مستوى الدول، ورد الثأر القومي على هزيمة العسكريتاريا عام 1967. فكان من المفترض والمنتظر ان تمسك الشعوب بزمام المبادرة، لكن استباقا لهذا التحول (الوجودي) الذي سجلت الثورة الفلسطينية طليعته مع اعلان الحراك الفدائي بوسيلة الكفاح المسلح، فقد دبرت «المؤامرة المطلقة» ظروف اقتتال آخر باطلاق الحرب الاهلية في لبنان التي ستتوالى فصولها الدموية، ومن ثم السياسية، حتى اوان الحرب الاسرائيلية المباشرة الراهنة، باعتبارها حلقة اكتمال لاجتياح بيروت عام 1982 الذي انهى مرحلة «الكفاح المسلح» مع اخراج منظمة التحرير من لبنان.

كان على رأس مهمات الفتنة الطائفية المسعورة ان تحبط عاصفة الاعتراض القومي المعبأة ضد معاهدة كامب ديفيد ومنع اضرارها الرهيبة المتوقعة. وقد نجحت في اختطاف صراع الوجود مع العدو، واغراقه في اقتتالات المجتمع داخليا مع نفسه وأهله وتاريخه، ما اتاح كذلك للانظمة العربية الاعتذار بانشغالاتها اللبنانية عن الشأن القومي الاصلي، والتسابق فيما بينها على انتزاع ادوارها المرسومة في تسعير جحيمها.

هذا السيناريو من فصول المؤامرة المطلقة يعاد تمثيله مع الحرب الاسرائيلية الراهنة الهادفة كذلك الى القضاء على المقاومة اللبنانية هذه المرة، ولكن تحت سقف هذا الهدف المعلن يجري التدمير المنهجي لكل مقومات الكيان اللبناني، وتصحيره حضاريا ودفعه كذلك الى اتون اقتتال اهلي جديد، نسخة ثانية عما يفعله الاحتلال الامريكي في العراق، ذلك ان حروب «المؤامرة المطلقة» على العرب والاسلام باتت مقترنة دائما بمنهجية الارض المحروقة للوطن والتصحير الحضاري لعمرانه ونهضته العصرية. اجندة النار والتصحير تعم المشرق العربي، وربما بعد العراق ولبنان يأتي دور سورية وايران.

ماذا بعد.. هل هي المقدمات الضرورية لتحقيق مشروع الشرق الاوسط، بازالة العقبات الاستراتيجية الكبرى من طريقه التي لن تتوقف عند الاجهاز على المواقع القومية والوطنية، بل بعد الحروب الغازية والفتن الداخلية ومعها سيتم الانقضاض التدريجي لكن المتسارع على مراكز الطاقة والمال. يفقد الخليج آخر حماياته في محيطه، ويلتحق نهائيا بالاقتصاد الامريكي والاسرائيلي. ذلك هو «الشرق الاوسط الجديد» الذي يبشر (بوش) العالم بجنته الديمقراطية الموعودة وترفعه وزيرة خارجيته اليوم شعارا لتحركها السياسي في الوقت الذي تعطل قرار وقف القتال الفوري، مانحة اسرائيل كل الزمن الذي تحتاجه لانجاز التدمير الشامل للبنان بحجة تفكيك «حزب الله».

اما اين هو الرأي العام العربي والدولي، فذلك سؤال لا يمكن اهماله بالرغم من التضاؤل النسبي لمؤثرات تلك القوى الاخرى المجهولة والهائلة الكامنة وراءه. ومع هذا لن تستطيع المظلة الامريكية حماية العدوان الاسرائيلي الى ما لا نهاية، وهو عدوان امريكا نفسها ليس بشراكة اسرائيلية بل بالاداة الاسرائيلية التي تفقدها استقلال قرارها بالمتابعة او التوقف. كما ورد في احتجاج نائبة اسرائيلية في الكنيست. وبحسب حدس هذه النائبة لن تحقق حكومة اولمرت انتصارا سريعا ورخيصا. المقاومة اللبنانية ادخلت تغييرا بنيويا على معادلة القوى. ولا يبدو انها ستلقي سلاحها حتى لو اعادت اسرائيل اجتياح الجنوب بكامله. ولو وصلت الى بيروت نفسها.

انها الحقيقة الجديدة التي تداهم مخططات المؤامرة المطلقة وهي في اوج نجاحها المتصور: فلم تعد هناك دول وانظمة هزيلة وتابعة في مواجهة المؤامرة المطلقة. انها عودة الشعوب بصيغ المقاومات المسلحة هي التي غدت تملأ الساحات الملتهبة من فلسطين فالعراق الى لبنان اخيرا، وبدون استئذان من احد. انها الحقيقة الجديدة فعلا التي انخرطت مباشرة في تغيير قواعد اللعبة. ليس الامنية او الدفاعية فحسب، بل الجيوسياسية عامة للمنطقة كلها، وهنا لابد ان تأخذ اقانيم الصراع ما بين الانتصار والاندحار دلالات مختلفة لم تألفها حروب وفتن الاعوام الستين السابقة. وسوف يقع صلب هذا التغيير خاصة على قاموس الهزيمة ومفرداتها الشائعة. اذ لن تكون هناك مؤسسة حكم لتقع عليها مسؤولية الهزيمة ودفع الاكلاف. فحين يهل عصر الشعوب المقاومة، وقد لاحت طلائعه اخيرا، ربما، لن تمزقه الفتن الداخلية واشباهها من غزوات الخارج، مهما استشرت وتغذت بأموال الايدي القذرة واعوانها.

لن تجوز على معاركه تصنيفات الهزائم النهائية غير انه بكل تأكيد سوف يحرم عدوه من اية ثمرات يكسبها بفضل تفوق القوة الضاربة وحدها. لن يتيح للعدو ان يلقى الارض المهدة كيما ينشر عليها احتلالا مستقرا، ولا ان ينشىء عليها مشاريعه اللصوصية الزائفة. لن يتبقى سوى مشروع واحد بعد الارض المحروقة وهو قيامة الشعب المقاوم على اطلال المؤامرة المطلقة وقد غدت الشاهدة الاخيرة على موتها، وان الى حين.

* مفكر عربي مقيم في باريس

حزب الله: المعادلة الصعبة في حسابات النظام السعودي

د. مضاوي الرشيد *

■ الموقف السعودي من العدوان الاسرائيلي على لبنان لخصه البيان الرسمي وبيان مجلس الوزراء السعودي. وفي هذه البيانات ادانة صريحة لحزب الله الذي حملته هذه البيانات مسؤولية تدمير لبنان من قبل الفاشية الاسرائيلية المتسلحة بالدعم الامريكي والسعودي، اتفق المحور السعودي ـ الصهيوني ـ الامريكي على هدف واحد وهو تصفية حزب الله وان ادى ذلك الى ابادة القرى الشيعية الجنوبية ومنطقة الضاحية التي تقطنها عوائل المهاجرين الاوائل والذين تركوا قراهم في الجنوب اللبناني خلال الاجتياح الاسرائيلي الاول او تدمير لبنان كليا.

تطرح هذه المرحلة الحرجة موضوع موقف السعودية الرسمي من حزب الله اللبناني والذي اتسم بالعداء المكشوف حاليا المبطن سابقا. اثبت حزب الله انه المعادلة الصعبة في حسابات النظام السعودي والتي استطاعت ان تعريه منذ عام 1982 لاسباب متعددة اهمها ما يلي:

اولا: يعادي النظام السعودي حزب الله لانه يمثل نمطا معينا من الحراك السياسي العربي الاسلامي. حزب الله حزب لا يرفع شعارات اممية فارغة فعدوه معروف وارض المعركة ليست الشيشان او الصومال بل جنوب لبنان والان كل لبنان. مقاومة لا تستمد فكرها من ايديولوجيات فقدت مصداقيتها بعدما رفعتها الانظمة الثورية في الخمسينيات والستينيات وما زالت تحتفظ بشعاراتها بعض هذه الانظمة. لا يستطيع مثقفو السلطة في السعودية ان يتهموا حزب الله بالقومجية كما يحلو لهم ان ينعتوا من يتضامن مع اي قضية عربية كذلك لا يقدر هؤلاء ان يلصقوا صفة «الاسلاموية» على مثل هذا الحزب بسهولة لان هذا المصطلح اعتادوا على اسقاطه على الحركات الاسلامية السنية. لذلك يصعب على النظام السعودي ان يطعن بحزب الله بطريقته البدائية المعروفة والتي تطل علينا على صفحات اعلامه المحلي والعربي.

حزب الله ليس فقط مؤسسة سياسية عسكرية بل هو مجتمع وثقافة ودين ونمط حياة يصعب تفكيكها من قبل النظام السعودي ومثقفيه. حزب الله لا ينشغل بعدو بعيد يشتت صوابه. هو يعرف من هو العدو الحقيقي. كذلك حزب الله ليس خلية ارهابية يؤسسها نظام ويصدرها الى الخارج ويجندها ويسلحها من اجل مشروع امريكي بحت ومن ثم تنقلب عليه وتخرجه من الاسلام وتكفره وتصوب سهامها باتجاهه لان حزب الله لا يمكن وضعه في هذا القالب المعروف جدا من قبل النظام السعودي لذلك سيبقى معادلة صعبة وسيبقى العداء لغة قائمة يبثها النظام السعودي من خلال اعلامه.

ثانيا: يخاف النظام السعودي تكرار تجربة حزب الله على ارضه هو خاصة وان الاقلية الشيعية السعودية تتواجد على ارض النفط فرغم ان النظام السعودي نجح في استقطاب المعارضة الشيعية منذ 1993 وامتص رجال الدين الشيعة في المنطقة الشرقية بالاضافة الى مثقفي الشيعة وكتابهم الذين لوحوا بشعار الوطنية متبنين بذلك الدور الذي يريد النظام السعودي منهم ان يلعبوه الا وهو تجنيدهم كمفكرين لضرب تيار القاعدة الجهادي علهم بذلك يحصلون على بعض المكاسب والتي اتضح انها سطحية ولم توصلهم الى مبتغاهم ومطالبهم المسبقة.

فبعد ان جردهم النظام السعودي من عروبتهم اذ انهم دوما متهمون بأنهم ذوو اصول ايرانية او عراقية واخرجهم من حيز الاسلام عاد وتقبلهم بشروطه هو.

رغم تطورات المصالحة الشيعية ـ السعودية يظل شبح حزب الله اللبناني يراود النظام السعودي خاصة بعد ان أطل ما يسمى بحزب الله الحجاز برأسه واصدر بيانا يشجب فيه التصريحات السعودية التي تدين الضحية اللبنانية بدلا من الجلاد الاسرائيلي.

ثالثا: لا يهز النظام السعودي شيئا كما يهزه التقارب بين حزب الله وحركة حماس ولا بد ان نعترف ان هذا التقارب فرضه العدو المشترك على خلفية ربما مذهبية مختلفة للمجموعتين، عندما يطعن النظام السعودي بحزب الله فهو يلعب على حزازيات واختلافات مذهبية قديمة استطاعت حماس وحزب الله تجاوزها وكذلك تجاوزتها ايران عندما وضعت ثقلها خلف المقاومة الفلسطينية وزعامتها في دمشق وغزة. يغضب النظام السعودي من اي تقارب يوحد حركات المقاومة الشعبية لان النظام السعودي يعتاش على تغذية النعرات الطائفية رغم كل خطاباته الدعائية. يخطىء من يعتقد ان هوية النظام سنية وانه ينصر هذه الفئة. هوية هذا النظام «سعودية» فقط لا غير. وعلى الرغم من حرب النظام السعودي على الارهاب الا انه ضمنيا لا يغضب لاي قتل طائفي تقوم به مجموعات كان في الماضي من مناصريها ومؤيديها.

رابعا: انزعاج النظام السعودي من «الهيمنة الايرانية» على العراق وتكرار هذه الهيمنة في لبنان عن طريق حزب الله يعكس رغبته القديمة في تجريد الشيعة العرب من جذورهم العربية. الخطاب الذي يربط بين التشيع الناطق بلغة الضاد ونظيره الايراني هو خطاب تم استهلاكه في السابق من قبل النظام العراقي السابقة والتي مورست خلال السبعينات والثمانينات وربما نجد ان الكثير من العائدين الى العراق اليوم يتصرفون بطريقة ثأرية تجاه من يعتبرونه مسؤولا عن تشريدهم وتهجيرهم.

ان يعتمد حزب الله على الدعم المعنوي والسياسي والمادي الايراني خاصة بعد ان تخلى النظام السعودي عن مفهوم مقاومة الاحتلال هو اعتماد مشروع. على الاقل تلقي حزب الله المساعدات والاستعانة من دولة اسلامية وليس من دولة تضرب مصالح المسلمين كالولايات المتحدة والتي لا زال النظام السعودي يدور في فلكها له مشروعية اسلامية. اسلحة حزب الله الايرانية موجهة لعدو روع مواطنين عربا واستنزف موارد عربية كبيرة اما استعانة النظام السعودي بالامبراطورية الامريكية كانت دوما موجهة للطعن في العرب ومواردهم، من العراق مرورا بحربه على ايران والتمويل السعودي لهذه الحرب خلال عقد كامل.

خامسا: رغم كل اصوات التقريع واللوم الموجهة الى حزب الله من السعودية اثبت هذا الحزب ان شعبيته تجاوزت الطائفة الشيعية ليس فقط في لبنان بل تعدتها الى سنة السعودية ذاتها خاصة تلك الاقلية التي تجاوزت النعرات الطائفية التي غذاها النظام السعودي في المناهج وعلى منابر وعاظ السلاطين. ونذكر على سبيل المثال تقييم الحركة الاسلامية للاصلاح الموجودة في لندن لانجازات حزب الله رغم ان الناطق باسمها الدكتور سعد الفقيه كان دوماً يذكر مستمعيه بأنه ينطلق من الموضوعية رغم ان هناك اختلافات عقدية مع حزب الله. احدى حلقات اذاعة الفقيه غازلت حزب الله على استحياء واستعرضت انجازه خلال عقدين وذكرت المستمعين السعوديين بوجوب تجاوز فكر المؤامرة الذي يتفشى عند الشعوب المهزومة المغيبة عن صنع القرار تماما كالشعب السعودي. يخاف النظام السعودي من شعبية حزب الله لذلك هو يفضل تدمير لبنان تدميرا كليا على ان ينتصر نصر الله وخياره الذي لم يعد خيارا شيعيا او لبنانيا بل اصبح خيارا عربيا بعد تبلور محور ثالوث الشر المرتبط بالمشروع الامريكي. اثنان من زوايا هذا الثالوث خرجا عن اجماع شعبهما والثالث في طريقه الى تنصيب نفسه زعيم خوارج العصر ـ مصطلح عودنا النظام السعودي ان يطلقه على خلايا القاعدة المجاهدة على ارضه ـ في لبنان خرج النظام السعودي عن اجماع شعبه.

نمط حزب الله المحارب سعوديا يشكل خطرا اكبر من خطر نموذج القاعدة لاسباب عدة. حزب الله ليس حزبا فقط بل هو مجتمع وبنية تحتية وخدمات ومؤسسات وليس خلايا مطاردة شتتت جهدها على ثغور نيويورك وبالي بعد ان فشلت فشلا ذريعا في تغيير نظام حكم عربي واحد. كذلك استطاع حزب الله ان يتجاوز الكثير من العقد التي لا تزال الحركات الاسلامية وخاصة السلفية تعاني منها. فمثلا تجاوز حزب الله عقدة المسلم وعلاقته مع غير المسلم والتعامل معه كذلك تجاوز عقدة المرأة ودورها ونظر اعلامه لمفهوم الوطنية والمذهبية بطريقة انبهر فيها ليس اتباع حزب الله فقط بل اعداءه والحق هو دوما ما شهدت به العدا. الدراسات الغربية التي اشادت بانجازات حزب الله كثيرة ولا مجال لتعدادها هنا. لكن هناك شبه اجماع على انه نجح في الكثير من الامور الجوهرية رغم ان له بعض الزلات الاستراتيجية.

نمط الحزب الاسلامي الذي يمثل حزب الله سيظل تجربة هي وليدة الاجتياح الاسرائيلي الاول للبنان. استطاع حزب الله ان يحول جيشا شيعيا لبنانيا من كونه جيش المستضعفين والمحرومين الى جيش مقاومة شعبية تستمد الهامها من شهادة الحسين وليس من ايديولوجيات مستوردة.

احدث حزب الله انقلابا اجتماعيا في شرائح اجتماعية لبنانية وهذا ما يخافه النظام السعودي والذي طبل لدولة طالبان ودعمها واعترف بها دبلوماسيا ليس لسبب سوى كونها تمثل النمط الاكثر تخلفا لمفهوم الدولة الاسلامية. فبعد ان دعم النظام السعودي هذا النمط لا يتوقف سفيره في واشنطن عن ترديد اتهامات ضد كل الحركات الاسلامية من منطلق كونها تريد «طلبنة» السعودية. لا يقبل النظام السعودي بأي نمط اسلامي الا اذا كان اكثر تخلفا منه هو حتى يرى الجميع مدى تقدميته. كذلك يعادي النظام السعودي الحركات الاسلامية المحلية ذات الاهداف المحددة المرتبطة بمجتمع محلي فهو شجع في الماضي التيارات الاممية التي تشتت جهدها وفكرها خارج حدود الوطن حتى يسلم النظام من سهامها.

عداء النظام السعودي لحزب الله ينطلق من كون هذا الاخير قد عرى النظام السعودي وكشف زيفه خاصة على الساحة اللبنانية وكان عقبة صعبة التجاوز في المشروع السعودي الكبير لسعودة لبنان. بسبب العوامل السابقة الذكر تكالبت السعودية والولايات المتحدة واسرائيل على تصفية حزب الله التجربة الجديدة على الساحة العربية.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364